النساء والرجال

وجوه الشبه والاختلاف بين الفريقين

٢

١١ : يظهر حب المرأة للاجتماع في شوقها الشديد للاستحسان الاجتماعي — الرأي العام . فرأي الجيران عندها وزن ليس عند الرجل مثلهُ لان هذا الشعور الاجتماعي يشغل من حياتها ما لا يملؤهُ الحب والامومة فهي تفوق الرجل غروراً وزهواً بفضلها وجمالها فتقضي كل يوم نصف ساعة على الاقل في ذرّ مسحوق « البودرة » على انفها . ويبلغ حبها للبلاغة في بيانها حدود الهذر وميلها الى التقليد في اعمالها حدّ المبالغة وهي اكثر من زوجها هياماً بالارتفاع في الدوائر الاجتماعية بل ان تطلعها الى المقام الاجتماعي يثير اكثر من نصف الرياح التي تسوق شراعهُ . ولذلك هي راضية برضوخها لمن فوقها ، فخورة بسيادتها من دونها وللاسباب نفسها هي اكثر ادباً ، واعمق شعوراً ، وابلغ لطفاً ، لان شعورها الاجتماعي ممتزج بامومتها ورقتها ، ولا ريب في ان لطفها واستعدادها لمؤاساة الضعيف يرجحان غرورها

١٢ : وبالنتيجة ان اتصاف قلب المرأة وعقلها بهذه الصفات يجعلها اكثر تديناً فتحملها شدة عاطفتها على الاسراع في تلبية الحث الشديد الذي توجههُ الديانة الى الاحساس والشعور . وهي اكثر من الرجل شعوراً بالنكبات التي تفاجئ الحياة وتفزعها حزناً وأسى . وشوقها لاستئناف العلاقة الحية مع الحبيب الذي فقدتهُ يقنعها بصحة الخلود . فتظل الطبيعة لغزاً مقدساً لها . (ولعلها في عجزها الوضيع هذا ، عن فهم الاسرار ، اكثر التصاقاً بالطبيعة من علمنا الميكانيكي) . فهي بحسب فطرتها تجد حيث يجدُّ الرجل في البحث العلمي . ولما كانت ضعيفة في بناء جسمها فمن الطبيعي ان ترنو الى حماية من يحميها . واذ يحيّر العالم عقلها تنتعش الهداية السموية بالصلاة . ولما كانت تخاف الوحدة وتميل الى الاجتماع فهي تملأ جوّها بالارواح العلوية التي تؤنسها في وحدتها وتساعدها في حاجتها وضعفها . وهي اول من يرحب بصور جديدة من الايمان وآخر من ينبذ الصور القديمة . قد يحمل اليأسُ الرجل على الانتحار ، اما المرأة فبعد فقدها كل رجاء تجد قوة وسلوى في الله

١٣ : هذه هي غرائز الرجل والمرأة الاساسية . على انهُ لا يجوز الظن انها لا تتحول

بالاختبار ولا تصقل بالتهذيب . فكلا الجنسين ارتقى ارتقاء عقليًّا على اساس هذه القوى والغرائز . فكيف يختلف هذا البناء العقلي الساسي في الجنسين ؟ الجواب ، انهُ في الرجال اوسع واعلى ، لانهم خرجوا ، في خلال القرون الثوالث ، من وضع التقليد الى عالم التجديد ، واضطرتهم حيوية الامل ان يواجهوا احوالاً جديدة وعوامل جديدة لا تلائمها الغرائز التقليدية القديمة . فالضرورة اوتت قابليتهم الفريزية المؤدية الى النجاح الذي يثير ذكاء العقل ويذكيه . على انهُ يمكن اتخاذ الغريزة دليلاً في بعض الاحوال الخاصة فاذا كانت الحالة التي يواجهها الانسان من النوع التقليدي ، كالحالات التي صادفتها الانسانية قرونًا متوالية ، كانت الغريزة كافية كدليل للتصرف ، وحينئذٍ تبرهن ارجحيتها على افكار الفكر المجرد . الى عهد قريب كانت مساعي المرأة منصرفة على وجود الزوج وتربية الولد . ولا يزال ذلك السعي يشغل جانبًا كبيرًا من وجودها . هذه هي القضايا البديهية التي قابلها كل امرأة الى ابعد ما تبلغ الذاكرة . ولاجل هذه المواقف شاءت الطبيعة غرائز تطابقها . وتلك الغرائز هي هادية احيانًا ، ولكنها على العموم مقيدة ومعقولة

١٤ : فمن ثم كانت المرأة تفوق الرجل في وحدة الغريزة وكمالها ودقتها . والرجل اكثر انقيادًا وارتياحًا وتلونًا بصفة الفكر المجرد . فاضاع الثروة التي تمنحهُ اياها غرائزهُ يُحِلُّ محلها لبًّا مُكَنَّهُ من مجاراة احوالهِ الجديدة . فقد بذلك وحدة العمل الغريزي وانقيادهُ وسرعة تهيئهِ للموقف الذي يقتضيه . وهو جائر طائش في حضرة المرأة ،

[illegible]

وسم الخطيئة ، واسرع في تطهيرها . حتى كانت المسألة الجنسية في علاقة الشرين ، او الابناء على جنب ، اول الشيء يرتاع منها من رجل تحت الثلاثين . يظهر امرأة في العشرين حتى من اهل الطبقات [illegible] اشياء امر فيها المرأة قبل الى غيرها ، فكانها انجذبت اليها بجميع غرائزها الوراثية . [illegible] الرجل عن مزاولة تلك الاشياء بهم الاختيار [illegible] فالمرأة في [illegible] تصورات [illegible] والرجل [illegible] اكثرها ريبة . المرأة تفكر [illegible] وهي [illegible] الرجل الى اختلاق الاعتذار في [illegible] التي [illegible]

[illegible] كانت اسرع منهُ في بلوغ طور الرشاد ، فاقصر منهُ صبوة ولذلك حكم بعضهم بانحطاط

جنسها — لان الصبوة تطول على قياس ارتقاء النوع، وذلك من قضايا علم البيولوجيا — ولكنهُ حكم يلزم اطراحهُ لانهُ اذا صح كان الفيل والسحفاة ارقى ما ابدع الخلاق. فللعقل صبوة كما للجسد، وتختلف مدة الصبوة العقلية في مختلف الاشخاص. فبعضهم يرشد باكراً، وبعضهم آجلاً، وآخر لا يرشد مدى الحياة بل يموت قاصراً كما عاش قاصراً. والظاهر ان صبوتنا الانسانية مديدة، اذ يزداد عجزنا في عالم يزداد تعقيداً وبعداً عن استعدادنا الفطري ووسائلنا الموروثة. وقليل هم الرجال الذين يبلغون رشادهم العقلي في يومنا هذا قبل انتصاف حياتهم. ولكن المرأة، بالنظر الى بساطة حياتها، وقربها الى الفطرة، ترشد باكراً جداً وعقلاً. فتقتبس آداب الاجتماع عن رضاء وهي اسرع تلقناً في المدرسة من فتى في سنها. وقد برهنت حديثاً عن تفوقها، في كلية رد كليف، على اقطاب الطلاب في جامعة هارفرد. على ان هذه السرعة في الارتقاء تميل الى الوقوف باسرع مما في الذكور. فلا تتقدم الانثى عما كانت يوم ولادتها بقدر تقدُّم الذكر المكافح المختبر. فهي تلوذ بالتليد وهو يقتنص الطارف. هي عضو المحافظة ومقره، وهو مندوب التنوع ومناديه. هي جذور شجرة الانسانية وجذعها، فتتشبث بالتربة التي منها تستمد نموها وتنبت، فروعها في محيطها الترابي واغصانها في محيطها الجوي

١٦ : والجانب الآخر من محافظة المرأة سببهُ ان مهامها عائلية ومحيطها الغالب هو بيتها. فهي عميقة كالطبيعة، تحدّ جدرانُ غرفتها فكرها وعاطفتها فتراثرها تميل بها الى المحافظة على التقاليد كما يميل الحبير الى الميدان الذي يتفوق فيه على غيره. وهي كذلك اقل ميلاً من الرجل الى التحقيق والامتحان في المسائل العقلية والادبية

واذا دفعت بها دواقع الشباب والحماسة الى ولوج ابواب الاصلاح السياسي، ونشر لواء محبتها على الانسانية، فانها تصدف عن هذه التجارب حالما تجد قريناً امينا وتخرج به شيئاً فشيئاً من دائرتها العصبية الواسعة الى دائرة المحبة العائلية الضيقة النطاق.

وحسناً تفعل، لان المرأة تعلم، دون اعنات للفكر، ان الاصلاح الوحيد الصحيح يبدأ في العائلة. فحين تحوّل غيرتها النائمة الى العناية باولادها تكون نائبة الجنس في البدء بهذا الاصلاح لان طبيعتها قليلة العبء بالدول والشرائع. وشغفها موقوف على العائلة والولد فاذا افلحت في حفظ هذين فسيان عندها الحكومات والاسرالملكة. فتسخر ممن يعنون باصلاح القوانين والنظم الاساسية. واذا لاح لنا الآن ان الطبيعة خائبة في حفظ العائلة والولد فذلك لان المرأة تناست احكام الطبيعة. ولكن الطبيعة لا تندحر طويلاً

١٧ : تُولد النساء مجهزات بالذكاء واليقظة . اما بعض الرجال فيحصلونهما بالجد والاجتهاد والبعض الآخر يرغم على الاتصاف بهما . فقد اصبحت حياة الرجال بعد الانقلاب الكبير الذي احدثتهُ الثورة الصناعية مجموعة من الواجبات والمسؤوليات التي اقبلوا عليها او اقبلت عليهم من غير انتظار او استعداد . فرزح كثيرون منهم تحت ضغطها الشديد وفاز البعض الآخر بإذكاء نار العقل بالذكاء الى درجة بعيدة تستنفد كل قواهم العصبية . لذلك ترى بين الرجال كثيرين من النوابغ والمجانين . ولما اخذت الصناعة تجذب النساء اليها وتظمهنَّ في سلكها اخذت النساء تتطور كما تطوَّر الرجل من قبل من الوجهة العقلية . ولكن رغماً عن كثيرهنَّ وتطوُّرهن ما زلنَ محافظات على بعض الفوارق العقلية التي يمتزنَ بها على الرجال

والظاهر ان المرأة تلقى عناة شديداً في ادراك الحقائق والمبادىء المجردة . لكن لها عيناً حادة تدرك الحقائق الواقعية وذاكرة قوية لحفظها . على انها غير بارعة في التعميم والتعليل المبتكر اذ تضيع نفسها وتعمى عن مقصدها لعنايتها بالتفاصيل . فهي اكثر اكتراثاً للشخصيات منها للافعال والاشياء . واذا جادلتْ في موضوع وقفت في جوابها موقفاً شخصيًّا ودافعت عن رأيها من وجهتها الخاصة . وذلك لانهُ قُسم لها من مهد العمران ان تعنى بالاشخاص — الزوج والولد . واما الرجل فقد حتم عليه ان يخوض معامع التجارة والصناعة ويصطدم بالعوامل والافعال الطبيعية والاجتماعية فضلاً عن احتكاكه [illegible] السهل على الرجل [illegible]

[illegible] الكون وتصور الاجناس في حين يتبدر عليها اسم تصورها منفصلاً [illegible] تكوّنها بعوامل خاصة وتحدث [illegible] الامام .

[illegible] خاطر الرجال . من دلوسي الفوارق العقلية بين الجنسين، الى قلة ما ابرزن من آثار الذكاء [illegible] في الموسيقى الذي لا يحتاج من علاقة بالجنان [illegible] في الموسيقى الصناعي الشعور ، كان منتوج المرأة أقل مما دلت عليه جهودها وفرصها . فالنساء اكثر عزفاً لذات الموسيقية ، ولكن الرجال اكثر تأليفاً في فنها . ومتى اعترف الرجل للمرأة بعبقرية ما او نبوغ كان ذلك بمقتضى لا [illegible] اياها بقوله « انها عقلية رجل » . قال شوبنهور بوجود حرب بين اللطفة والامومة . فاذا صدقناهُ نتج

فمن ذلك ان ما من امرأة تفوّق عقلاً الا اذا شذت ، شذوذ شوبنهور عن مستوى أقرانه . فقد دخنت جورج ساند لفائف الرجال . ورأى سبنسر ان جورج اليوت أقوى من أن تذوب نفسهُ الصلبة

واسباب عدم رسوخ النساء في الذكاء والنبوغ مركبة يتعذر حصرها ووصفها. وقد تكون متحاملين عليهنّ في تحديدنا ، ناسين ان في الامومة فطرة ذكاء كما في السياسة او الادب او الحرب . فلا يبنى الحكم بالمساواة في النبوغ على القابلية لعمل كل شيء بحذق واحد، بل يبنى على القابلية لاتمام الاعمال اتماماً مقروناً بالصلاحية والملاءمة لكل جنس ولكل جيل. فنحن مبالون لانتقاض النبوغ في جيلنا متى قسناهُ بنبوغ القرون الماضية التي يحبوها تعظيمها في التاريخ بشيء من الروعة . ونرغب ، في عصرنا الحاضر ، في طلب الحكمة في نفس الميادين التي ازدهرت فيها سابقاً مع انهُ قد تكون امثال العقول التي نبغت قديماً في الادب والفن ، غارقة اليوم في بحر الصناعة البعيد الغور والاطراف. فان الجهود لتجديد العالم الطبيعي تستغرق كل قوتنا وتستنفد كل جهدنا . عندنا علماء كبار، ومخترعون اعاظم، فلا تتوفروا معهم ظهور افلاطون وشكسبير وليوناردو وبتهوفن

١٨ : ولعلّ تفوّق الرجال على النساء نوعاً سببهُ ان النبوغ يتجلى عادة في الاقلية المتعلمة في كل من الجنسين . فلا تصح المقابلة حتى يتناسب عدد المتعلمين العلوم العالية في الفريقين . وقد يكنّ في عوز للاستعداد الحيوي الطبيعي الذي يستلزمهُ الاشتغال بالفنّ . او انهنّ اقل منهم موهبة في حاسة الجمال التي تهيب بالنفس الى التجديد الروحي. فتخسر المرأة شيئاً من عبقريتها لرغبتها في ان تمتلك ، لا ان تمتلك. ولذا فهي فوحي الفن اكثر مما تستوحيهُ . ونرجا لم نجد في الرجل المتكبّر الحسن من الجمال ما يثيرها للابتكار والابداع . وكيف تتطلب الجمال وهو مجسّم فيها

١٩ : بقيت مسألة واحدة ، وهي : أوراثيّة هذه الفوارق ام طارئة ؟ هنا يسير الحكم . لاننا في ميدان تنازع العلم ، وانياب الفلسفة في المعرفة وفي انتاج الفروض. وقد يضطر الانسان بالتسليم بانهُ مع اقتران هذه الفوارق مادّيًا واجتماعيًّا يختلف المزايا الراسخة في البنية والوظيفة ، فهي بالاكثر ارثية اجتماعيًّا وطارئة فرديًّا . وتتوقف الى حدّ بعيد ، على التصورات التي يصوغها الرجال فيهنّ احتفاظاً بمقامهم واقتناعهم ، تحملهم عليها الوف من عوامل البيئة . وقد قالت احدى المطمات محتجة : — يشجّع الفتيان على اعلاء الشخصية الفردية ويربون تربية تعدهم للاستقلال

في الفكر وفي العمل . ولكنّ الفتيات يؤمرنَ بالطاعة والاعتماد على الغير ، والتمايز بينهنّ وبينهم . ويحملن على الشعور ان التطرف في الاستقلال في الفكر وفي العمل هو تقهقر في سيرهنّ ، وغير لائق ولا نسائي . اما الفتى فقد نشأ على الشعور بان نجاحه في الحياة متوقف على فوزه في الابتكار »

على ان النساء ابرزن في ثلاثة أجيال في كل ميادين العمل والعلم من صفات الرجال العقلية والادبية ما يحسن كل فيلسوف ادبي في العالم المسيحي على تذبّ الرجل الجنس الذي كان فيما سلف الجنس الاضعف والالطف . فقد اثبتت جماعات المحاميات والطبيبات والحاكمات قابلية النساء في دائرتهنّ الضيقة على انهنّ يستطعنّ مزاحمة الرجال في الفنون والاعمال التي سبق فرسخت اقدامهم فيها . وقد خرّجت الكليات منهنّ جماعات لا يقدم رجل على التزوج بهنّ ، لان تفوقهن العقلي يسقط صف الرجال في الزعامة والادارة ، وقد كان ذلك من موروثات الزواج الماضي وتحايله . فالما خلفت المعامل البيوتَ والمخازنُ الحقول ، وعملت فيها الانثى جنباً الى جنب مع الذكر ، ضاقت ثغرة الفرق بينهما

فالنتيجة المعقولة لهذا الانقلاب السريع ان النساء اذا اخترن ان يعشن على قدم المساواة التامة بالرجل في وظائفه زاحمنهُ وفزنَ بالمساواة التامة به عقليًا وادبيًا . بل ربما فتنهُ عقلا . ولكن لا بدّ ان يظهرنَ من التعقل ما يثبت لهنّ ان تقليد الرجال عهد وينقضي وان الرجال لا يستحقون شرف هذا التقليد وان السعادة كالجمال والكمال تستتر في ادراك غرض الحياة وتحقيقه . وستطلب القائمات بحركة تحريرهنّ ان يكنّ نساء كواملَ لا رجالاً غير كاملين . فيجعلن الامومة فنًا يعتمد على الذكاء والاستعداد . ومن ثم فقد يجعلن الامومة اعظم الفنون وارقاها ؟

وقد اوقفنّ حريتهنّ الحديثة ، تجاه مسائل لا تقل عن مسألة استعبادهنّ تعقيداً وخطراً . وفي هذا الموقف ما من رجل يتمكن من اسماعهنّ . لان عقل الرجل اكثر ميكانيكية وخشونة من ان يفهم بلطف وشعور حراجة التطور الذي يشوّش حياة المرأة وعقلها . فعقل المرأة وحدهُ هو الذي يخوض هذا المعمعان الجديد . وقد تفوز فيه . فان الهمة التي مكنتها من احراز الحرية ستهبُ لمصادمة ما ولّدتهُ تلك الحرية من المشاكل . ولا بدّ ان تكتشف السبيل لمقارنة اشعة الجمال والهمة التي سطعت منها الى اليوم باللطف اللائق الذي يزدهر في الحب المثلوكي والامومة الكاملة

مترجمة عن الانكليزية حنا خباز